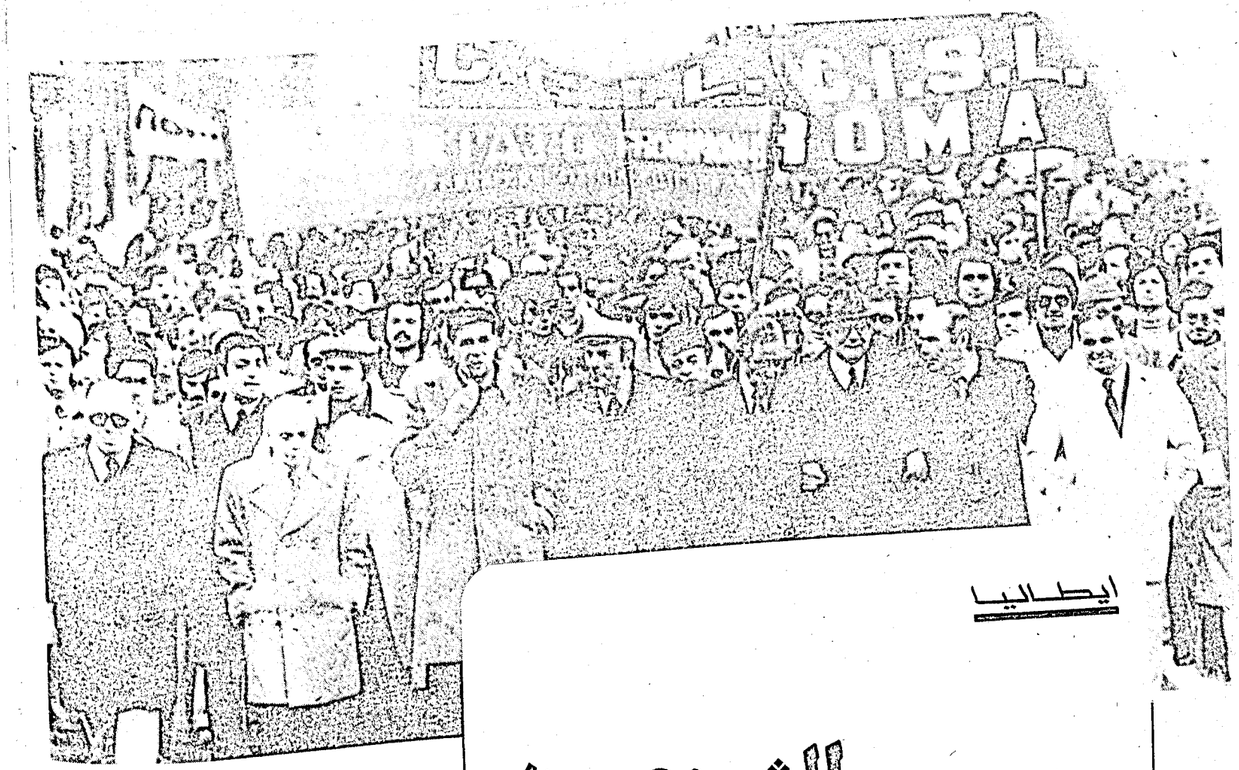

ايطاليا

الشيوعيون قادمون... من صناديق الاقتراع!

الحكومة الايطالية التي تشكلت اخيرا هي اكبر دليل على افلاس الطبقة الحاكمة في البلاد التي تستعد لمعركة انتخابات فاصلة عام ١٩٧٧ • وجميع القوى تستعد من الان لهذه المعركة : الولايات المتحدة والكنيسة والحزب الشيوعي ، الذي يحمل راية « التسوية التاريخية » ليكسب المزيد من الانصار داخل الطبقة الوسطى ، والديمقراطيون المسيحيون يجمعون فلولهم ...

غير ان اهم ظاهرة تثير الانتباه هي موقف الحزب الشيوعي الايطالي على المسرح السياسي والتغيرات التي تطرأ على افكار قياداته • ما هي هذه التغيرات في اطار الواقع الايطالي الراهن ، وكيف بدأت والى اين انتهت ؟

اخيرا اصبح لايطاليا حكومة جديدة ، ولكنها متميزة عما سبقها من حكومات . وقد سبقها العديد العديد منها – ان اعضاء حكومة الدو مورو هذه الجديدة ، هم انفسهم لا يعترضون على الاسم الذي اعطيت لها ، ويسلمون بحقيقة ان هذه الحكومة هي قضية مؤقتة • فقد سمحت القوى السياسية المختلفة للحزب الديمقراطي المسيحي بان يحكم – وان كان لا يحكم عمليا – وبان يحكم وحده دون مشاركة احزاب اخرى بعد مرحلة من الحكومات الائتلافية التي توالت على ايطاليا • والسبب في هذا « التسامح » ازاء الديمقراطيين المسيحيين ان الاحزاب الاخرى لا تريد ان تشارك في مسؤولية الحكم معهم في هذه الفترة • فالانتخابات العامة على الابواب – في ربيع ١٩٧٧ على ابعد تقدير – وهي تشعر ان من يشارك هؤلاء المفلسين في حكومة ائتلافية ليس امامها اكثر من سنة واحدة لتعمل قبل حكم الناخبين فيها ، سيحترق معهم في هذه الانتخابات العامة القادمة • لذا فانهم يفضلون انتظار ما سيخرج من صناديق الاقتراع في السنة القادمة لاتخاذ الموقف من الحكم والمشاركة ، خاصة وان الشيء الاكيد هو ان المسيحيين الديمقراطيين سيخرجون بوجه كالح اكثر من امتحان القوة القادم ، وان الاحتمال كبير جدا بان يصبح الشيوعيون هم الحزب الاول في البلاد ، لان انتخابات الصيف الماضي المحلية شهدت فاصلا ضئيلا نسبيا بين الحزبين المتصارعين

منذ ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها بسقوط الفاشية في ايطاليا •

ولا بد من العودة الى القاء نظرة تاريخية سريعة على المرحلة التي بدأت منذ سقوط الفاشية لرصد مسيرة الحزب الشيوعي الايطالي باتجاه السلطة ، ومسيرة الحزب المسيحي الديمقراطي اليميني نحو السقوط ، وفهم احتمالات تلبية دعوة الشيوعيين لانفسهم بالمشاركة في الحكم التي طرحوها في تسوياتهم « التاريخية » • فمثل هذه العودة الى الوراء ضرورية لفهم ما يجري حاليا هناك وتصور ما يمكن ان تكون عليه تطورات المستقبل القريب • ويبدو من المناسب الانطلاق من هجمة الفاشية لتصفية الشيوعيين ، وقرار الحزب باعادة تنظيم نفسه واعداد قواه لمحاربة الفاشية ، واسقاطها كمهمة رئيسية للشيوعيين •

لقد كانت القيادة الشيوعية في الخارج ، وكان تولياتي في موسكو ، وبذلك لم تتمكن الفاشية من ان تطالهم ، ولكنها استطاعت تصفية وتشتيت الحزب في الداخل • وقد عادت هذه القيادة في سنة ١٩٤٤ لتبدأ بقيادة تولياتي ، الكفاح المسلح ضد الفاشية • ومنذ ذلك الوقت ، فرضت الخط الجديد للحزب الذي استمر حتى الان ، وكان من الطبيعي ان يؤدي بالحزب الى طرح مشروع الصفقة التاريخية الذي يعرض به الحزب استعداده للمشاركة في الحكم •

لا ... للسلاح

في « سالبرنو » ، الايطالية ، انذاك ، اعلن الحزب انه يخوض الكفاح المسلح ضد الفاشية القائمة ، في حرب تحريرية وطنية ، على ان يتخلى عن اعتماد هذا الاسلوب فيما بعد ، وبذلك سجل لاول مرة رفضه الكفاح المسلح من اجل استلام السلطة • وقد تحالف الشيوعيون مع جميع القوى المناهضة للفاشية ، حتى الديمقراطيين المسيحيين، وهذا التحالف سمح لهم القيام بدور كبير في مقاومة الحكم الفاشي ، وقد كان لهم تنظيما عسكريا جيدا ، وتمكنوا بذلك من اعادة بناء الحزب القوي بعد ان كان سحق وتشتت اعضاءه • ان الدور البارز الذي لعبه الحزب الشيوعي الايطالي في المقاومة وتحالفه الناجح مع كافة القوى المعادية للفاشية في البلاد ، قد نبه الولايات المتحدة الى ما يمكن ان يحققه هذا الحزب من قوة سياسية في ايطاليا ما بعد الحرب • وادراكها لقوة الحزب الكامنة دفعها الى التركيز على مساعدة القيادة البلاد • لهذا فعندما سقط موسوليني واحتل الاميركيون ايطاليا ، كان من اول ما فعلته القيادة العسكرية الاميركية انها طلبت الى الشيوعيين تسليم كافة اسلحتهم • وقد وافق الحزب على هذا الطلب – الامر الاميركي ، ومواجهة مضاعفات هذا الرفض •

ولكن ذلك الموقف كان نابعا من ذات المنطلق الذي نشأ عنه نبذ اعتماد طريق الكفاح المسلح من اجل الوصول الى السلطة • وتجسد ذلك بصورة اكثر وضوحا في توجه الحزب منذ بداية فترة ما بعد الحزب ، لاستقطاب اوسع فئة ممكنة من البورجوازية الايطالية • فقد باشروا ببناء الحزب والعمل بهدف تحقيق اكبر نسبة تمثيلية : الحصول على اصوات الناخبين تحت شعار السعي من اجل « ديمقراطية المجتمع وتحديثه » •

لقد نشط الشيوعيون في بناء المنظمات الجماهيرية ، للعمال ، للنساء وللطلاب • وكانت النقابات العمالية تضم جميع الاتجاهات • كان فيها للشيوعيين للاشتراكيين وللديمقراطيين المسيحيين • وقد شهدت تلك الفترة انشقاق يمين الحزب الاشتراكي الايطالي ، الذي عاد فشكل ما اصبح يعرف بالاشتراكيين الديمقراطيين • ولكن الانشقاق الاهم كان انشقاق النقابات العمالية • لقد سمح الحزب الشيوعي بموقفه انذاك ، بانشقاق النقابات العمالية ، ومكن القوى اليمينية من اضعاف المنظمات الجماهيرية •

وتصاعدت عمليات اضطهاد العمال الشيوعيين في مختلف القطاعات من بعد ان وقف زعيم الحزب تولياتي ليقول للشيوعيين ، للعمال وللانصار كافة : ان المهمة الاولى هي بناء الاقتصاد الوطني ، اما الحقوق ، حقوق العمال فنتكلم عنها من بعد انتهاء عملية البناء هذه (!)

فرصة اضاعها الحزب

وبدأت الحرب الباردة ضد الشيوعيين بعد ان اعدت اجهزة الامن من اجل مرحلة الكبت والقمع • ولكن تحالف الشيوعيين مع الاشتراكيين – من بعد انشقاق اليمينيين عنهم – مكنهم من الحفاظ على درجة من القوة في الشارع الايطالي ، على الاقل لتفشيل محاولة رجعية كانت تقضي بتخيير الايطالي بين الملكية او الجمهورية • فقد تمكنوا من تفشيل مشروع الاستفتاء هذا ، وخرجوا من التجربة اقوى • ولكن محاولة الاميركيين اغتيال الزعيم توليياتي عززت اكثر فاكثر شعبية الشيوعيين • وكاد الحدث ان يكون لحظة تاريخية لايطاليا بعد انقضاء بضعة سنوات فقط على انتهاء الحرب • فعلى اثر المحاولة الاغتيالية نزل الشيوعيون الى الشارع في تظاهرات غاضبة صاخبة ، ووصلت الانتفاضة حد سيطرتهم عمليا على الشارع ، كسلطة ثانية • ولكن التراجع كان سريعا • فقد دعت القيادة الى وقف ذلك التحرك ، والتخلي عن كافة المواقع الرئيسية للسلطة التي احتلتها جماهير الشيوعيين ، واوصت بتحويل الانتفاضة الجماهيرية الناجحة الى مجرد تظاهرات سلمية والتعبير عن الاحتجاج سلميا لمحاولة اغتيال تولياتي ••• وهكذا انتهى كل شيء بعد ان كان الحزب على وشك ان يسيطر على كل شيء يقتضيه الاستيلاء على السلطة •

بالطبع استفاد اليمين من حرص بل اصرار الحزب على المهادنة رغم امتحان القوة المفاجيء الذي خاضه سنة ١٩٤٧ ، وقد كانت الولايات المتحدة منكبة على مساعدة الحزب المسيحي الديمقراطي للوقوف في وجه المد الشيوعي • وقد استخدمت ملايين الدولارات ووفرت كافة الوسائل اللازمة ، وتحركت المافيا في الجنوب لتحقيق انتصار المسيحيين الديمقراطيين في انتخابات ١٩٤٨ العامة •

ومنذ ذلك الوقت اصبحت الحرب الباردة ضد الشيوعيين منتظمة • فقد قامت سلطة الحزب الديمقراطي المسيحي بعمليات تطهير ضدهم في كافة القطاعات ، واصبح شرط الوظيفة معاداة الشيوعية ، واستمر الاميركيون في استثمار ملايين الدولارات في مشروع اقتلاع « شوكة الشيوعيين » وتعزيز ركائز حكم هذا الحزب اليميني المحافظ • ولكن الاضطرابات سادت ايطاليا لعدة سنوات ، الا ان الحكم ابتداء من سنة ١٩٥٣ استطاع اخماد ذلك الغليان لاسباب واضحة • فقد ساعدهم كثيرا عمليات اعادة البناء وترميم الخراب الذي خلفته الحرب •

وبدأ الاقتصاد ينمو بسرعة وبالمساعدات الاميركية • ولكن مع ذلك النمو كانت تنمو ايضا التناقضات الاجتماعية • فمن ابرز مميزات مرحلة

الدو مورو : حكومة مؤقتة

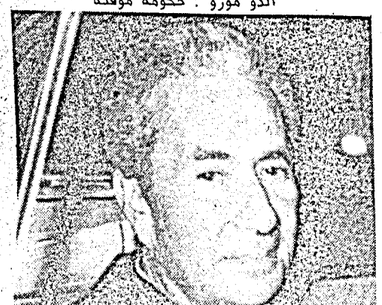

بيرلينغوير : الحزب الذي تخلى عن الثورة